بحث مقدم من
الشيخ محمد أحمد حسين
المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية
خطيب المسجد الأقصى المبارك

بعنوان

البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي

إلى
الدورة التاسعة عشر
لمؤتمرمجمع الفقه الإسلامي الدولي

إمارة الشارقة – الإمارات العربية المتحدة

شوال 1429هـ / تشرين أول" أكتوبر" 2008م

بحث مقدم من
الشيخ محمد أحمد حسين
المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية
خطيب المسجد الأقصى المبارك

بعنوان
البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي

إلى
الدورة التاسعة عشر
لمؤتمرمجمع الفقه الإسلامي الدولي

إمارة الشارقة – الإمارات العربية المتحدة

1 جمادى الأولى 1430هـ / نيسان" إبريل" 2009م

بسم الله الرحمن الرحيم

البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي

تمهيد

تحظى البيئة باهتمام الإنسان ورعايته أينما وجد عبر الزمان والمكان، فالناس يهتمون بها سواء عرفوا مصطلحها أم لم يعرفوا، كيف لا؟ وهي تتشكل من مصادر معيشتهم ورفاهيتهم، وتمثل بمكوناتها ميدان عملهم ونشاطاتهم، لكن الإنسان يجحف بحقها أحياناً فيهمل صيانتها وحمايتها، أو يقوم بدور المدمر لمواردها، أو المستنزف لمكوناتها.

ويعطي العالم المتحضر مزيداً من الاهتمام بالبيئة وقضاياها، وبخاصة في مواجهة الدمار الذي يهدد الأمن البيئي، وعلى الرغم من ذلك فإن البيئة تعاني الأمرين من سوء الاستغلال والإهمال والتصحر، والتلوث، وجرف التربة، وقلة الأمطار، وغيرها من المشكلات البيئية التي أصبحت سمة من سمات عصرنا الحاضر، مما يدعو لرعاية البيئة، وحمايتها من عبث العابثين. ونود في هذا البحث التطرق لوضع البيئة في المنظور الإسلامي، فنستهل ببيان مفهوم البيئة وعناصرها.

تعريف البيئة

البيئة هي " الأرض وما تضمه من مكونات غير حية ممثلة في مظاهر سطح الأرض من جبال وهضاب وسهول ووديان، وصخور ومعادن وتربة وموارد مياه، ومكونات حية ممثلة في النباتات والحيوانات سواء كانت على اليابسة أم في الماء وما يحيط بالأرض من غلاف غازي يضم الكثير من العناصر الأساسية اللازمة لوجود الحياة على سطح الأرض ".

وفي تعريف آخر: "هي مجموع الأشياء التي تحيط بنا ونؤثر عليها وتؤثر علي وجود الكائنات الحية على سطح الأرض متضمنة الماء والهواء والتربة والمعادن والمناخ والكائنات أنفسهم، كما يمكن وصفها بأنها مجموعة من الأنظمة المتشابكة مع بعضها البعض لدرجة التعقيد والتي تؤثر وتحدد بقائنا في هذا العالم الصغير والتى نتعامل معها بشكل دوري."

فيشمل مفهوم البيئة الأرض، وما يحيط بها من هواء وطبقات غازية وغيرها، وما عليها من إنسان وحيوان ونبات وجماد وعلاقات، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[1] (الرعد:3)

[1].(وهو الذي مد) بسط (الأرض وجعل) خلق(فيها رواسي) جبالاً ثوابت(وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) من كل نوع (يُغشي) يغطي(الليلَ) بظلمته(النهارَ إن في ذلك) المذكور (لآيات) دلالات على وحدانيته تعالى(لقوم يتفكرون) في صنع الله.

النظرة الإسلامية للبيئة

عني الإسلام بالبيئة عناية فائقة، ووضع أسساً للحفاظ عليها والاستفادة من خيراتها، وإن لم يستخدم لفظ البيئة في القرآن الكريم، وإنما ذكر عناصرها ومكوناتها في كثير من المواضع والآيات الكريمة، فذكر الأرض والجبال والمياه والنبات والحيوان....الخ. وتكرر ذكر لفظ الأرض فيه 425 مرة.

والناظر في واقع البيئة يجد الحاجة ماسة إلى وعي بيئي، ينطلق من تشريع الإسلام وقيمه وقواعده، التي أكدت على احترام البيئة، وتنمية الاتجاهات الإيجابية نحوها.

والتربية البيئية مطلوبة من كافة المؤسسات ذات العلاقة، وهي تشمل النشاط الإنساني الذي يقوم بتوعية الأفراد بالبيئة وبالعلاقات القائمة بين مكوناتها، وبتكوين القيم والمهارات البيئية وتنميتها على أساس من مبادئ الإسلام وتصوراته عن الغاية التي من أجلها خلق الإنسان، ومطالب التقدم الإنساني المتوازن.

إن الثقافة البيئية الإسلامية تلزم المسلمين مواجهة الكوارث والمخاطر البيئية العالمية، والإسلام بخصوصيته العالمية لن يغمض عينه عن مشاكل العالم البيئية وغيرها، ويمكن من خلال تمحيص مبادئه وأحكامه تلمس الحلول المناسبة لتلك المشاكل وكثير من تلك الكوارث. آخذين بعين الاعتبار أن كثيراً من أسباب تلك المشاكل ترجع لما اقترفته يد الإنسان بحق بيئته، وعالمه، ونفسه، وأخيه الإنسان، ويصدق في ذلك قوله تعالى: { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (الروم : 41)

المشاكل والمخاطر التي تتعرض لها البيئة

تعرضت البيئة وما زالت تتعرض لبعض أشكال التدهور والدمار والاستنزاف وسوء الاستخدام، ومن صور ذلك استنزاف موارد المياه، أو تلويثها، وتعرض بعض الغابات للحرائق أو الاقتلاع، وانتشار التصحر، ومشاكل طبقة الأوزون، وبعض أنواع النباتات والطيور والحيوانات انقرضت أو توشك على الانقراض، وازدياد أعداد السكان مع تضاؤل بعض الموارد البيئية، وما يعانيه بعض الناس من إبادة، وجوع وعطش، وغير ذلك من صور الانحطاط البيئي، أو المعاناة البيئية.

ومن أكثر الاضطرابات البيئية وأعمها أثراً، في هذا الزمان ما يحدث من ثقوب في طبقة الأوزون، فقد أعلن مؤخرا عن اتساع ثقب في طبقة الأوزون فوق القطب الجنوبي خلال شهر آب 2005. (**قناة الجزيرة الفضائية، نشرة أخبار صباح الأربعاء، 2005**).

وفي الاحتفال باليوم العالمي للأوزون في شهر أيلول من العام الحالي 2005، ووسط تحذيرات علماء البيئة من الأضرار التي لحقت بطبقة الأوزون فوق المنطقة القطبية الجنوبية، أعلنت وكالة الفضاء

الأمريكية " ناسا" أن ثقب الأوزون فوق المنطقة الجنوبية، بلغ حجما لم يبلغه من قبل، إذ وصلت مساحة الثقب هذا العام إلى ثمانية وعشرين مليونا وثلاثمائة ألف كيلو متر مربع، وهذا يعني أن الثقب أصبح يعادل ثلاثة أضعاف مساحة الولايات المتحدة الأمريكية. وكان حجمه قد سجل قبل سنتين سبعة وعشرين مليونا ومائتي ألف كيلومتر مربع. ولا توجد أية مؤشرات حسب وكالة أنباء الشرق الأوسط لانكماش حجم الثقب في هذا العقد، كما أن كثافة مادة الكلور فلورو كربون _ الذي يعتبر أكثر الغازات تدميرا لطبقة الأوزون – لم تتغير على مدى السنوات العشر الماضية – ويرجع العلماء تآكل طبقة الأوزون إلى سلسلة معقدة من التفاعلات التي تساعد عليها مواد معينة مستنفذة للأوزون، أبرزها غاز الكلور فلورو كربون والهاليون، إذ صنعت منها مركبات لأول مرة في الثلاثينات لم يكشف أثرها الكبير في طبقة الأوزون إلا في عام 1974.

وحذر تقرير صادر عن الأمم المتحدة من أن ارتفاع درجة حرارة الكون سيؤدي إلى مجاعة في القرن المقبل يعاني منها الملايين، وتقول مجموعة من العلماء وهم أعضاء في اللجنة الحكومية حول التغيير المناخي التابعة للأم المتحدة، أن الإنتاج الزراعي يتدهور في أسيا، بينما تعاني استراليا من نقص في المياه، وستعاني أوروبا من خطر الفيضانات، وإفريقيا سيواجهها خطر التصحر.

وتوقع العلماء أن ترتفع درجة حرارة الكون هذا القرن ما بين درجة مئوية واحدة و 8، 5 درجة مئوية بينما سترتفع مستويات البحار بعشرات السنتيمترات، مهددة بذلك ملايين البشر في البلدان المنخفضة عن مستوى سطح البحر.

وحذر علماء البيئة من أن التغييرات المناخية التي ستؤدي إلى تراجع الرقعة الزراعية وتراجع المحاصيل، ستعرض 50 مليون شخص – معظمهم في إفريقيا – للمجاعة بحلول 2050، في الوقت الذي يعاني فيه حاليا أكثر من 500 مليون شخص بمختلف دول العالم من مخاطر المجاعة نتيجة للتأثير السلبي للبيوت الزجاجية والغازات المنبعثة المسؤولة عن ظاهرة الاحتباس الحراري.

كما تعاني الدول الأوروبية أيضا من ارتفاع درجات الحرارة، إذ حذر تقرير لصندوق رعاية الطبيعة في العالم – وهو منظمة مهمتها الحفاظ على البيئة – من احتمال ارتفاع درجات الحرارة في الدول الأوروبية الرئيسة أسرع من المعدل الطبيعي. وذكر أن متوسط درجات الحرارة خلال الصيف ارتفع في غالبية تلك الدول بمعدل درجة واحدة خلال السنوات الخمس الماضية، مقارنة بدرجات الحرارة قبل 30 عاما. (**جريدة القدس، 12961، تاريخ 9/17 /2005 ، ص 38**).

ومع تطور الصناعة تفاقمت مشاكل عوادم السيارات والمصانع، وما تبثه من دخان وكربون ومواد سامة تضر بالبيئة، وبالتالي بالصحة البيئية للكائنات الحية، بما فيها الإنسان، هذا بالإضافة إلى

اتساع نطاق وحجم أسلحة الدمار الشامل : الكيماوية والجرثومية والنووية والعنقودية، ومخلفات التجارب الكيماوية والنووية في هذا العصر.

وعدا عن ذلك فإن الكوارث الطبيعية من زلازل وبراكين وأعاصير مازالت تهدد مساحات واسعة من بقاع المعمورة، مما دعا الرئيس الأمريكي رئيس اكبر قوة دولية في العالم المعاصر ليصرح في 2005/8/31 بأنه من غير الممكن الوقوف أمام غضب الطبيعة. جاء ذلك في معرض تعقيبه على إعصار كاترينا الذي ضرب بعض مناطق جنوب أمريكا في أواخر شهر آب 2005، رغم التحذير منه، وجلاء الكثيرين عن منازلهم خوفا منه، فانه لما جاء دمر مناطق كبيرة، وشرد آخرين.

وهناك كوراث قد تأتي على سبيل العقاب الرباني، فلما شبه الله تعالى الحياة الدنيا بالأرض التي أخذت زخرفها، نبه إلى انه تعالى يمكن أن يرسل على هذا البستان العجيب آفة عظيمة دفعة واحدة في ليل أو نهار، من برد أو ريح أو سيل، فتصير تلك الأشجار والزروع باطلة هالكة كأنها ما حصلت البتة، فلا شك أنه تعظم حسرة مالك ذلك البستان ويشتد حزنه، فكذلك من وضع قلبه على لذات الدنيا وطيباتها، فإذا فاتته تلك الأشياء يعظم حزنه وتلهفه عليها. (التفسير الكبير– الرازي ج:17ص59– 60)

مكونات البيئة وعناصرها وأنواعها

البيئة بمفهومها الواسع تشمل جميع العوامل الطبيعية والاجتماعية والثقافية والإنسانية التي تؤثر في أفراد الكائنات الحية وجماعاتها وتحدد شكلها وعلاقتها وعلى هذا الأساس يمكن تلخيص الأبعاد التي يتضمنها مفهوم البيئة، بما يلي :

(1) البيئة الطبيعية، وتشمل:

- الأرض : بما تتضمنه من تربة، وثروات معدنية ومائية، وما تتعرض له من فيضانات وتصدعات وانزلاقات أرضية وزلازل.
- المناخ : بما يتضمنه من أمطار ورياح وأعاصير، ودرجات الحرارة وغير ذلك.
- الحيوانات والطيور البرية.
- النباتات البرية.

(2) البيئة الاصطناعية أو المشيدة، وتتضمن :

- استعمالات الأراضي المحيطة.
- البنية التحتية والخدمات العامة، وتشمل إمدادات المياه من حيث النوعية والكمية، وإدارة النفايات الصلبة والسائلة، وتصريف مياه الأمطار والمجاري، ومصادر الطاقة من كهرباء ونفط وغيرها. والمرافق العامة من طرق، ومطارات ومحطات السيارات والباصات والأسواق.

- مستوى تلوث الهواء، ومصادره.
- مستوى الضجيج، ومصادره.
- مستوى تلوث المياه، ومصادر المياه الجوفية والسطحية في المنطقة ونوعيتها. واستعمال الأسمدة والمبيدات بأنواعها، وطرق صرف المياه العامة، ومناطق معالجة النفايات الصلبة.

(3) البيئة الاجتماعية والخلقية

وتتضمن الخدمات الاجتماعية، ومناطق العمل والتجارة، والخصائص الاجتماعية والاقتصادية والعرقية للسكان، كما يشمل ذلك حياة السكان وتجمعاتهم ونشاطاتهم وإدارتهم، وحجم السكان وتوزيعهم، وظرف الإسكان، منع الاقتتال، حرمة الدماء والأعراض، الحرية، ومنع الكذب والاستهزاء واللمز والغمز والغيبة والنميمة والجاسوسية ووجوب الاستئذان..

البيئة الأخلاقية والاجتماعية: وجوب الستر، وغض البصر، والزواج، والإنجاب، ومنع الفواحش، والمسكرات، والمخدرات

(4) البيئة الاقتصادية :

وتشمل العمل والبطالة، ومستوى الدخل والطبيعة الاقتصادية للمنطقة (عن كتاب التربية البيئية2001) منع الغش والاحتكار والربا وإباحة البيع والتجارة والحث على الصناعة.

(5) البيئة الجمالية: " إن الله جميل يحب الجمال

ملخص لبعض منطلقات الحديث عن البيئة الطبيعية في الإسلام

المتدبر في آيات القرآن الكريم، يستخلص عدداً من الأسس والمبادئ والقواعد التي تقوم عليها النظرة الإسلامية للبيئة والعلاقة بها، ومن تلك الأسس:

* **التأكيد على أن البيئة الطبيعية ومكوناتها جزء من خلق الله،** بل هي آيات دالة على قدرة الخالق، ومحط للتفكير والتأمل والنظر للوصول إلى الإيمان، يقول تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (*) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} (فاطر:27-28)

فالله سبحانه وتعالى حث على النظر في مكونات البيئة، بهدف الوصول إلى حقيقة الإيمان، أو تعزيزه بالبراهين والمؤكدات، فلفت النظر لآيات الله التي تتجلى في نزول الماء وخلق الجبال والأودية والينابيع والبحار والأنهار والزرع والثمار، وخلق الحيوان والإنسان.

البيئة بمكوناتها ومواردها كائنات خلقها الله أو خلق أصولها، ووضع تشريعات تحميها، وتحقق الغايات النبيلة من وجودها، ووضع لها نظاما تنمو وتسير وفقه، وحدد للإنسان قوانين التعامل معها، فالكائنات البيئية مخلوقة لله كالكائنات البشرية {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} (الأنعام:38)

ترتبط قضايا البيئة وفق المنظور الإسلامي بالعقيدة والإيمان كما ارتبطت بالتشريع والتهذيب والأخلاق، فكل ما يجري في الكون يقع ضمن ملكوت الله، فيكون أو لا يكون بقدرته وإرادته وعلمه سبحانه وتعالى، فالمخلوقات تخضع للقوانين الإلهية في أصل وجودها واستمراره وفنائه، يقول عز وجل: {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ} (النمل 60)

ويقول: {أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (النمل 61) [2].

فالكائنات البيئية آيات دالة في عالم المنظور والمشاهد على قدرة الله ووحدانيته، وسعة علمه، ويفترض أن تقود الإنسان من خلال التدبر والتأمل نحو الإيمان بالله، وحسن عبادته، ليخضع لنظام خالقه في سلوكه الإرادي كما خضع هو والكائنات لله فيما لم يملكوا نحوه حولا ولا قوة، يقول تعالى : {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ} (الزخرف :84)

ويقول: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ} (الصافات:5)

فالشمس شاهد كوني للخضوع لنظام خالقها صباح مساء، فلها في كل يوم مشرق ومغرب، تسير وفق نظام محكم في منتهى غايات الدقة، وكل ذلك كائن بقدرة الله وإرادته سبحانه.

وقال سبحانه :{ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [3] (الجاثية: 36)

*** البيئة تسبح بحمد ربها**

الكائنات البيئية كبقية مخلوقات الله تسبح بحمد ربها وتنصاع لأمره وتهتدي بهداه :

{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً} (الإسراء:44)

---

[2]. فالله جعل الأرض قرارا لا تميد بأهلها (وجعل خلالها) فيما بينها (أنهارا وجعل لها رواسي) جبالا أثبت بها الأرض (وجعل بين البحرين حاجزا) بين العذب والملح لا يختلط احدهما بالآخر.

[3]. العالم ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه التي تسير وفق نظام الله وسننه في الخلق.

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} (الحج: 18)

{وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ..} (الأنبياء 79)

{إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ}[4] (ص: 18)

*** كل شيء خلق بقدر**

خلق الله عناصر البيئة بمقدار، مصداقاً لقوله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} (القمر:49) وقوله: {... وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ} (الرعد:8)

والمقادير التي خلقها الله من مكونات البيئة تتعاضد في تحقيق الصلاح البيئي، فالماء الذي ينزل من السماء، ينبت البيئة الخضراء اليافعة، يقول تعالى: {وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} (الزخرف:11)

وأشار الله إلى هذه الحقيقة في معرض حديثه عن المطر والسيول والأودية، فقال سبحانه: {أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} (الرعد:17)

ونبه الله إلى قضية الجفاف وشح المياه، بقوله سبحانه: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ} (المؤمنون:18)

وأشار إلى تقدير القوت والطعام، بقوله: {وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ} (فصلت:10)

*** البيئة وعناصرها مسخرة للإنسان**

الجبال والبحار والأنهار والطرقات (البرية والبحرية والجوية والفضائية) والماء والهواء، والثمار والأشجار والطير والحيوان وغير ذلك من موجودات البيئة ومكوناتها سخرت للإنسان، فالإنسان في الإسلام كائن مكرم، وسخر الله كل الكائنات، ليستخدمها لمنافعه المشروعة، دون شطط أو غلو.

{ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الجاثية 13)

{وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (النحل: 12)

[4].(العشي) وقت صلاة العشاء(والإشراق)بعد شروق الشمس ووقت صلاة الضحى.

فالله كرم الإنسان فخلقه في أحسن تقويم، وسخر له كثيراً من المخلوقات، ومنها ما يحيط به من عناصر البيئة الطبيعية، قال تعالى: "وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (النحل:14)

(أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً...) (لقمان:20)

(وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الجاثية:13)

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) (إبراهيم: 32 ـ 33)

وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك:15).

(الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ)(يس80)

(وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) (النحل 5)

فالبيئة كلها بأرضها وسمائها ومائها وهوائها وجمادها ونباتها وحيواناتها، وما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، كل ذلك قد خلقه الحق تبارك وتعالى مسخراً مذللاً للإنسان.

*** الإنسان مستخلف في البيئة**

خلق الله الإنسان وكلفه بأن يكون خليفته في الأرض، وأسند إليه مهمة تعميرها، وفق الشريعة التي أنزلها للعالمين، يقول الحق تبارك وتعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...) (البقرة:30) (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ...) (الأنعام:165)

(وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) (الأعراف: 10)

(.....هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ.....) (هود:61)

(هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ.....) (فاطر:39)

ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : " إن الدنيا حلوة خضرة والله تعالى مستخلفكم فيها " . (صحيح مسلم / كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار).

فعلاقة الإنسان بالبيئة إيجابية، تنطلق من نظر الإسلام إلى إقامة تفاعل إيجابي بين الإنسان والبيئة، فهي تجلب للإنسان الراحة والنفع، وهو يعمرها ويحافظ عليها ويرعاها، ويشكر الله أن وهبه نعيمها، وذلل له مناكبها، وسخر له سهولها وجبالها وزرعها وثمارها.

وينظر الإسلام إلى أن يتم هذا التفاعل وفق شريعة الله وسننه، فمثلما ينصاع المطر لأمر الله، وينبت الزرع بإرادة الله، فكذلك الإنسان عليه أن يمتثل لأمر الله في تعامله مع البيئة المحيطة به، في إطار تكليفه بمهمة عمارتها والاستخلاف فيها.

فالإنسان يتمتع بوظيفة الخادم للبيئة والمخدوم من قبلها، فهو يحفظ مواردها ويحميها، وهي تقدم له منافع شتى : وجدانية وجسمية وحتى مأوى لجثمانه بعد الموت.

والإنسان يقوم بمهمة الوصاية على البيئة من خلال كونه مستخلفاً في الأرض، فهو يعمرها ويرعاها، وهي بمثابة أمانة في عهدته، والله سائله عما استرعاه فيها، والله تعالى يقول: (....هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ...) (هود : 61)

وتقع عمارة البيئة في إطار المفهوم العام للعبادة، والذي شمله قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات:56)

حيث أن العبادة لا يقتصر معناها الشامل فقط على مجرد أداء الشعائر الدينية الروحية من صلاة وصوم وحج وغيرها، وإنما تعني الالتزام المخلص والأمين بمباديء الإسلام وتعليماته في كل شئون الحياة، ومنها عمارة البيئة واستثمارها للصالح العام والخاص، فالزراعة والبناء وترشيد استهلاك الموارد الطبيعية، وإماطة الأذى عن الطريق عبادة، والمحافظة على القيم السلوكية النبيلة في المجتمع، والمساهمة في تحقيق الهدوء وترك الضجيج عبادة تسهم في تحقيق السلامة البيئية.

غير أن الاستخلاف مؤقت بزمن محدود، فله أجل محتوم، يقول تعالى: (...وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) (البقرة :36) إلا أن الناس يتوارثون عمارة البيئة، جيلاً بعد جيل، وقد قيل: زرعوا فأكلنا ونزرع فيأكلون.

وإلى جانب الأمر بعمارة البيئة بكل وسيلة ممكنة ومتاحة، فإن الشريعة الإسلامية تحظر كل ما من شأنه إفسادها، وإيقاع الضرر فيها، فلا يجوز فعل كل ما فيه أذى وإضرار للبيئة.

الفساد بمعناه الشامل ضد التعمير والصلاح والفساد هو كل سلوك بشري يفسد نعم الله ويحيلها من مصدر منفعة وحياة إلى مصدر ضرر وخطورة على الحياة، وورد النهي الجلي عن الإفساد في الأرض في عدد من الآيات القرآنية، منها: قوله تعالى: (...وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (الأعراف 85) وقوله تعالى: (...وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (المائدة : 64) (وإفساد البيئة شكل من أشكال الإفساد في الأرض، فهي تمد الإنسان بالنفع والخير، ليتمتع ويقضي حاجته، ويحقق نموه، دون أن يكون معول هدم وتدمير وتخريب لها، يقول تعالى: (.....كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (البقرة : 60)

أخرج ابن جرير عن السدي قال : نزلت في الأخنس بن شريق أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر الإسلام فأعجبه ذلك منه ثم خرج فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فأحرق الزرع وعقر الحمر فأنزل الله الآية. (كتاب **لباب النقول** في أسباب النزول ،جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: خالد شبل التوفر: عدد الاجزاء: 1 سنة النشر: 2002 الطبعة رقم: 1)

ويقول عز وجل: (وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } (**القصص:77**)

ومن أنواع الإفساد البيئي، تلويث المياه، وهي عصب الحياة، يقول تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ } (الأنبياء:30) ويقول سبحانه: {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا{*} لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا} (الفرقان: 48-49)

وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا الإفساد، فقال: " لا يبولن أحدكم في الماء الراكد ثم يغتسل فيه " . (سنن النسائي /كتاب الطهارة / باب النهي عن البول في الماء الراكد) .

وفي حديث آخر يقول صلى الله عليه وسلم : " اتقوا الملاعن الثلاث البراز في الماء، وفي الظل وفي طريق الناس " (سنن أبي داود /كتاب الطهارة وسننها / باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق).

الأمن البيئي :

يشمل الأمن البيئي في الإسلام مجالات كثيرة، فهو يعم الأمن الخلقي والأمن الفكري والأمن الثقافي، إضافة للأمن من تلوث البيئة المادي كالنفايات والغازات والأدخنة والضجيج...الخ

ومن الإجراءات التي حرص عليها رجال الحسبة والفقهاء لتوفير أنواع من الأمن البيئي إزالة الحوائط والمباني الآيلة للسقوط، من منطلق الحرص على توفير الأمن البيئي الشامل، الذي أشارت إلى بعض جوانبه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، كقوله: "لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون" . (صحيح البخاري / كتاب الاستئذان / باب لا تترك النار في البيت عند النوم) .

وفي حديث آخر قال: "اطفئوا المصابيح بالليل إذا رقدتم واغلقوا الأبواب وأوكئوا الأساقي وخمروا الطعام والشراب" (صحيح البخاري / كتاب الاستئذان / باب غلق الأبواب بالليل) .

وهذا يفضي إلى عمارة البيئة بالزرع والبناء، وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على هذه العمارة، فقال: " ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة " .(صحيح مسلم / كتاب المساقاة / باب فضل الغرس والزرع) وقال: " من أحيا أرضاً وعرة من المصر أو ميته من المصر فهي له (مسند أحمد / مسند جابر بن عبد الله) وقال: (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها) (مسند أحمد / مسند أنس بن مالك).

وفي المقابل ينهى الإسلام عن التعرض للشجر والزرع بالقطع أو الإتلاف دون حاجة، حتى في حالة الحرب، مما يشير إلى حرص المسلمين على تحقيق الحماية البيئية، وهو ما يسمى حديثاً بالمحميات الطبيعية.

ولم تقتصر تلك الحماية على الزرع والنبات، وإنما شملت الحيوان كذلك، ففي مجال الثروة الحيوانية، أمر الإسلام الإحسان إلى الحيوان، والانتفاع به، والحفاظ على وجوده، وحمايته من الانقراض، ومنع قتله إلا لحاجة مشروعة، روى النسائي وابن حبان أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: " من قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله يوم القيامة يقول يارب أن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة " (سنن النسائي/كتاب الضحايا / باب من قتل عصفوراً بغير حقها) .

ومن أوضح الأمثلة التي ضربها الإسلام في مجال الحث على حماية الحيوان، ما ورد بشأن الذي دخل الجنة في كلب، والتي دخلت النار في هرة.

" مظاهر الاهتمام بحماية البيئة الإنسانية من الفقر وتطوير الحياة الاقتصادية.

وضع الإسلام قواعد إيجابية في استثمار الأراضي والانتفاع بها، وبذلك يقضي الإسلام على مشكلة كبيرة تعاني منها شعوب كثيرة ألا وهي مشكلة التصحر نتيجة إهمال الأراضي الزراعية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كانت له أرض فليزرعها، أو ليمنحها أخاه فإن أبي فليمسك أرضه" (صحيح البخاري / كتاب المزارعة / باب ما كان أصحاب النبي يواسي بعضهم بعضاً) فالمسلم مطالب بأن يزرع أرضه بنفسه أو يتيح لغيره زراعتها دون مقابل أو يعطي أرضه لمن يزرعها ويتحمل جانباً من نفقات الإنتاج مقابل شطر من الناتج وهي المزارعة .

وفي مجال التنمية الاقتصادية فإن النشاطات الإنسانية في مجالات الإنتاج والتنمية والتوزيع تحكمها قاعدة الحلال والحرام فالحلال هو ممارسة النشاطات النافعة للبيئة الطبيعية والإنسانية أما الحرام فهو النشاطات التي تؤذي البيئة الطبيعية أو الإنسانية ومن هنا فقد نظر الإسلام إلى الإنتاج النافع كواجب ولا يكتمل هذا الواجب الديني إلاّ به، وبهذا فإن الإسلام ينظر إلى الصناعات ضمن منظور مدى ضررها على البيئة وحماية المجتمع الإنساني ويمنع الجشع من وراء التطور الصناعي وما ينتج عنه من تخريب الوسط الغازي والصلب والمائي كما حدث اليوم، أيضاً وضع الإسلام حداً قاطعاً للتدهور البيئي الناتج عن الفقر وهو ما يعاني منه ملايين الناس في العالم ونظر الإسلام إلى الفقر على أنه خطر على العقيدة وخطر على الأخلاق وخطر على الأسرة وعلى المجتمع، فوضع علاجاً للفقر من خلال فريضة الزكاة ونظام الميراث والإنفاق بأموال الكفارات والأوقاف وغيرها .

وفي مجال التنمية الاقتصادية ومكافحة الفقر أيضاً عمل الإسلام على التقريب بين الطبقات بتحريم الكبر ومظاهر الترف وحث الإسلام على التعاون والقرض الحسن ابتغاء مرضاة الله، ووضع الإسلام قواعد تمنع أي هدر في أي مورد فإن كان في الوضوء سرف وهو مدخل للعبادة فكيف بالإسراف والتبذير الذي يتعدى حدود الحلال والذي ينفذ بشكل واسع عند كثير من الأمم على مستوى الأفراد والجماعات .

وبما أن الزراعة من الموارد الأساسية التي تحمي بيئة الأرض فقد أولاها الإسلام عناية متميزة وجعل الاهتمام بها عبادة وبذلك نجد ان رسالة الإسلام قد اهتمت عن طريق التربية بتنظيم العلاقة بين مكونات البيئة، فوضعت نواظم وضوابط لمعاملة الإنسان مع نفسه، ومع الآخرين ومع الأحياء وكذلك نظمت العلاقة بين الإنسان وبين موارد الأرض والسماء، ودعت إلى حمايتها والحفاظ عليها وإنمائها وسخرت لتحقيق تلك الغايات تربية شاملة ممتدة مدى الحياة، من أجل هندسة سلوكية لإنسان متكامل يحمل حساً بيئياً سليماً وعميقاً لارتباطه الدائم مع موجد البيئة ومصمم قوانينها .

كل ذلك يجعل الإنسان المسلم يقدر البيئة الإنسانية والطبيعية ويقيها من التدهور والدمار من أجل تحقيق بيئة الأمن والسلام على الكرة الأرضية.

* البيئة تتأثر بإصلاح الخلق وإفسادهم

{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }الروم9

{... هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...} (هود:61)

{وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ }البقرة205

{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} (الروم:41)

{...وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} (القصص:77)

ويشمل عموم الفساد في الأرض الفساد الخلقي والزراعي والصناعي، فالإفراط في استخدام المبيدات والأسمدة الكيماوية يؤدي إلى إفساد البيئة والإضرار بالخلق،

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ،أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ) (البقرة : 11، 12)

ومن نتائج الإفساد البيئي ومظاهره انتشار الأوبئة الصحية التي تنتج عن انحراف في السلوك، كمرض الايدز ـ وباء نقص المناعة المكتسبة ـ وهو من الأوبئة البيئية التي تعاني من ويلاتها كثير من الشعوب

والبلاد، ومن أهم أسبابه الشذوذ الجنسي، وإقامة علاقات جنسية غير شرعية، مما يجعل الممارس لمثل هذه العلاقات عرضة للأوبئة ومنها الايدز.

ويحسن هنا التذكير بأن الإسلام الحنيف له موقف واضح من قضية المعاشرة الجنسية، التي تعتبر عند الانحراف بها عن مسارها المشروع السبب الرئيس لوباء الإيدز، فالإسلام يقر بالغريزة الجنسية ولا يستقذرها، بل يحث على الاستجابة لدافعها كحاجة فطرية، ولكن وفق منهج واضح المعالم محدد الأطر. فيحث الرسول صلى الله عليه وسلم الناس، وبخاصة أصحاب العنفوان الجنسي وهم الشباب على الزواج، ليخرجوا من حالة التوقان إلى حالة الاعتدال بمزاجهم الجنسي، فيوجه قائلاً: " يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ" (صحيح مسلم/كتاب النكاح / باب استحباب النكاح لمن طابت نفسه اليه ووجد).

ويصنف الإسلام المعاشرة الجنسية خارج المجال المشروع، في دائرة الإثم الناتج عن تعدي حدود الله، قال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ* فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} (المؤمنون: 4-7)

فالزناة عادون مفسدون، لأنهم ابتغوا بفروجهم سبيلاً نهى الله عنه بصريح العبارة، إضافة إلى وصفه بأبغض الصفات فهو فاحشة وسوء سبيل، قال تعالى:{وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً} (الإسراء:32) ولا يقل عن شر الزنى وسوئه الشذوذ الجنسي الذي أشار القرآن الكريم إلى إحدى أشكاله في مواضع عديدة، وذلك خلال حديثه عن الأفعال المشينة لقوم لوط، فالله وصف أفعالهم المشينة بالخبائث، فقال سبحانه وتعالى: {وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ } (الأنبياء:74)، ولوط عليه السلام وصف شذوذ قومه بالفاحشة، فقال تعالى: {وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ }(الأعراف:80) .

وضرب الله لنا مثلاً بالعقاب الذي سلطه على أصحاب الفاحشة من قوم لوط، فمحقهم به، جراء ما اقترفت أيديهم من شذوذ، فأمطرهم حجارة أهلكتهم، واقتلعهم بها من جذورهم، وجعلهم عبرة للعالمين.

والمعاقبة الربانية لأصحاب الفاحشة غير محصورة على الرمي بالحجارة المهلكة، أو بدمار المساكن والقرى على أصحابها، وإنما قد تأخذ أشكالاً أخرى، مثل أن يسلط الله عليهم أمراضاً فتاكة، كوباء الإيدز، فورد في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم:" ... لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا ...". (سنن ابن

ماجة/كتاب الفتن / باب العقوبات) والمراد بالفاحشة هنا الزنا، في إشارة نبوية سبقت ظهور الإيدز وغيره من الأوبئة التي أفرز فعل الفاحشة وشيوعها في أوساط الناس كثيراً منها.

وقد أثبتت الوقائع والدراسات الطبية والإحصائية الحجم الهائل للمشاكل الصحية والإنجابية والاجتماعية الناجمة عن الانحراف الجنسي، فأشارت تقارير منظمة الصحة العالمية، إلى أن مرض الإيدز تسبّب عام 1998 في وفاة مليونَيْ شخصٍ في إفريقيا من مجموع ستة ملايين شخص مصاب بهذا المرض في العالم، أي أن هذا الوباء يشكل أخطر قضية صحية تواجه إفريقيا .

مما يؤكد على أن الأخذ بالمنهج الشرعي الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم يتجاوب مع دوافع الفطرة، ويتناغم مع غرائز الإنسان من ناحية، ويكفل حماية البيئة المجتمعية من مخاطر الأوبئة التي تنجم عن الانفلات بالغريزة على العواهن دون التقيد بضوابط السلامة العامة والخاصة، من ناحية أخرى.

وأرشد الأسوة صلى الله عليه وسلم إلى وسائل تساعد في مواجهة التوقان الجنسي عند تعذر تحقيق الاستجابة الطبيعية له بالزواج المشروع، فحث صلى الله عليه وسلم من لم يستطع الزواج على الصوم، كوسيلة تعبدية تساعد ـ إن أُديت على الوجه الصحيح، من سلامة النية، وحسن الإخلاص لله بها ـ على التخفيف من حدة التوقان الجنسي، فهي تشغل صاحبها بأمر الحاجة إلى الطعام والشراب ولا يبقى مُسيطراً عليه بالحاجة الجنسية وحدها، هذا بالإضافة إلى أن الصوم كعبادة يتوجه بها الصائم إلى ربه فهي تذكره برقابة الله وحسابه وجزائه، وتشكل بالتالي مانعاً له من الانحراف عن الصراط السوي في تعامله مع دوافعه الغريزية وفي انتقائه نوع استجابته لها.

ولم يقف الرسول صلى الله عليه وسلم عند الحث على الزواج والنهي عن الفاحشة كسبب رئيس لوباء الإيدز، بل أصدر أوامره بصفته الولي العام لأمر الرعية بمعاقبة مرتكب الفاحشة جلداً إن لم يكن محصناً، ورجماً إن كان محصناً، تنفيذاً للتشريع الرباني الموحى إليه به بهذا الخصوص، وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن لا ينظر إلى العقوبة إلا بمنظار وأد الفاحشة، ودفع الضرر الناتج عنها، فقد جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي. فَقَالَ: وَيْحَكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ. قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ ..... و كرر ذلك ثلاثا والنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يقول له مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ الرَّابِعَةُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: فِيمَ أُطَهِّرُكَ. فَقَالَ: مِنْ الزِّنَى فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَبِهِ جُنُونٌ فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ فَقَالَ أَشَرِبَ خَمْرًا فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَزَنَيْتَ فَقَالَ: نَعَمْ. فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ.....

ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنْ الْأَزْدِ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ وَيْحَكِ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَقَالَتْ أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَّدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ وَمَا ذَاكِ قَالَتْ إِنَّهَا حُبْلَى مِنْ الزِّنَى فَقَالَ آنْتِ قَالَتْ نَعَمْ فَقَالَ لَهَا حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ قَالَ فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ قَالَ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ قَدْ وَضَعَتْ الْغَامِدِيَّةُ فَقَالَ إِذًا لَا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ إِلَيَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ فَرَجَمَهَا".
(صحيح مسلم/كتاب الحدود / باب من اعترف على نفسه بالزنى).

وفي مقابل الموقف الحازم للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة حيال الفاحشة، التي تتسبب في انتشار الأوبئة والأمراض، فإن الهدي النبوي تضمن حثاً على بعض الأمور التي اكتشف العلماء لاحقاً أهميتها في مجال الوقاية الصحية، فالختان مثلاً يشكل إحدى وسائل الوقاية من الإيدز كما يؤكد كثير من العلماء، وطالبت منظمة الصحة العالمية وبرنامج الأمم المتحدة لمكافحة الإيدز بإدراج ختان الرجال ضمن إستراتيجيات الوقاية من نقل فيروس الإيدز، بعد أن أكدت دراسات طبية أن ختان الرجال يخفض احتمال نقل هذا الفيروس من المرأة إلى الرجل، ونسبت هذه الاستنتاجات والتوصيات لعملية تشاورية دولية نظمت في سويسرا.

ومعلوم أن الختان من سنن الفطرة، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الفطرة خمس : الختان والاستحداد ونتف الإبط وتقليم الأظفار وقص الشارب" (صحيح البخاري/ كتاب اللباس /باب قص الشارب).

*** حفظ البيئة من الإضرار**

وإن إفساد البيئة سواء باستنزاف مواردها أو تلويثها يتناقض مع القاعدة الفقهية المتضمنة في قوله صلى الله عليه وسلم: " لا ضرر ولا ضرار " (سنن ابن ماجة/كتاب الأحكام /باب من بنى في حقه ما يضر بجاره) ويتسبب هذا الإفساد في جلب الكوارث العامة، مصداقاً لقوله تعالى: (.....فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) (النحل 112) .
وقد يجد البعض مصلحة معينة في بعض الأعمال، التي تكون نتائجها العامة وخيمة، كمن يجد نفعاً صناعياً أو زراعياً باتباع وسائل وأساليب تجر ربحاً وفيراً في نفس الوقت الذي تعرض فيه صحة الناس للمخاطر، وهنا يكون الفصل بالقاعدة الفقهية " درء المفاسد أولى من جلب المنافع " بمعنى أن منع الضرر والفساد مقدم على أي منفعة عند استغلال البيئة.

*** إماطة الأذى عن الطريق وحفظ حقها**

يرشد الإسلام الحنيف إلى حسن استخدام الطريق ومنع الأذي والضرر عنه يقول الرسول صلي الله عليه وسلم "إماطة الأذي عن الطريق صدقة " (صحيح البخاري/كتاب الجهاد والسير / باب من أخذ بالركاب ونحوه) وفي رواية: عن أبي هريرة قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان" (صحيح مسلم/ كتاب الإيمان/باب بيان عدد شعب الايمان).

و قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ" (صحيح البخاري/ كتاب الجهاد والسير).

عن أَبُي بَرْزَةَ قَالَ:" قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَنْتَفِعُ بِهِ قَالَ:" اعْزِلْ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ" (صحيح مسلم/ كتاب البر والصلة والآداب/ باب فضل إزالة الأذى عن الطريق)

فإزالة الأذى بكل أشكاله المادية والمعنوية عن الطريق عبادة، والأذى هنا يشمل كل ما يضر بالطريق ويشوه جماله ونظافته او يتسبب في وقوع حوادث الطرق أو الارباك المروري أو غيرها من الأضرار التي تلحق بالطريق ومستخدميه فمثلاً إلقاء الزجاجات الفارغة والمخلفات من أوراق وغيرها في الطريق يعتبر نوعاً من الأذى إشغال أرصفه الطرقات، وهي المخصصة للمشاة بما يحول دون استخدامها فيه أذي وضرر لأن هذا الأمر قد يجبر المشاة ان يسيروا في عرض الطريق مما يعرضهم للحوادث كما أن عدم الالتزام بتعاليم وقواعد المرور مما يتسبب في وقوع حوادث مرورية يتأثر بها أناس أبرياء يعتبر أذى فالسائق الذي يسير بسرعة جنونية غير عابئ بما تحدثه هذه السرعة من وقوع حوادث، كثيرا ما تكون مميته، يرتكب مخالفة قانونية وشرعية في حق نفسه وحق الآخرين.

وعندما حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من الجلوس على الطرقات، بين حق الطريق، فقال:" إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ فَقَالُوا مَا لَنَا بُدٌّ إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا قَالَ فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا قَالُوا وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ قَالَ غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ" (صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب أفنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصعدات)

* النظافة العامة، الشوارع، والبيوت والأبدان والمدارس والمؤسسات والأسواق

* استهلاك الموارد البيئية باعتدال، ومنع الهدر والإسراف والترف

نهى الإسلام عن الإسراف، لما فيه من أضرار كثيرة، فالإسراف في نظر الإسلام كل سلوك يتعدى حدود الاعتدال، وإذا طبقنا هذا المفهوم على البيئة فإنه يتمثل في الاستخدام المفرط أو الجائر لموارد

البيئة ومن ثم يصبح هذا السلوك غير المرغوب فيه مصدر ضرر وخطورة على البيئة ومواردها، كما أنه نوع من الأنانية وعدم التبصر وعدم الحكمة في تحمل المسئولية لأنه مدعاة لسرعة استنزاف موارد البيئة وقد توعد الله المسرفين بالهلاك يقول عز وجل: (وأهلكنا المسرفين) (الأنبياء: 9)

(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) (الأعراف: 31)

(والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) (الفرقان : 67)

حتى أن الصوت الذي يصدر عن الإنسان، مطلوب فيه الاعتدال، لقوله تعالى: (واقصد في مشيك واغضض من صوتك) (لقمان: 19) وفي هذا إشارة إلى الضجيج الذي ينبعث من أصوات الناس أو من سلوكهم في تعاملهم مع الأجهزة والمعدات والمركبات، مما يتسبب في إزعاج للآخرين، ويشكل بالتالي نوعاً من أشكال التلوث البيئي.

ومما يدل على أن الإسلام ينهي عن الإسراف بكل أشكاله وألوانه، أنه ينهي عن الإسراف حتى في أعمال الخير والعطاء والعبادة يقول الحق تبارك وتعالى :

(وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) (الأنعام : 141)

وقد نزلت هذه الآية الكريمة عندما أنفق ثابت بن قيس جذاذ 500 نخلة ولم يترك لأهله شيئاً يقول عز من قائل :

(وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) (الإسراء :26)

وكان الرسول صلي الله عليه وسلم يغتسل بالصاع (الصاع أربعة أمداد) إلى خمسة أمداد ويتوضأ بالمد (مقدار حفنة كبيرة) فمن زاد عن ذلك فقد أفاء وظلم (متفق عليه) (صحيح البخاري/كتاب الوضوء /باب الوضوء بالمد).

تمثل هذه الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة دعوة صريحة للمسلمين إلى الاعتدال والاقتصاد وحسن استغلال موارد البيئة من ناحية، ونبذ الإسراف والاستخدام الجائر والتقتيير من ناحية أخري ولما كان المفسرون يتفقون في أن العبرة في النص القرآني والحديث النبوي بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن هذه الدعوة إلى الاعتدال ونبذ الاسراف تشمل كل سلوك إنساني فالحق تبارك وتعالي عندما يمنح الإنسان نعمة ويفضله على سائر مخلوقاته، إنما يريد منه المحافظة على ما وهبه الله من نعم لا تعد ولا تحصي فلا يبددها فيما لا ينفع بل يجب أن يلتزم جانب الاعتدال والاتزان في استخدامها وتجنب الإسراف فالشريعة الإسلامية جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط المعتدل لا إفراط ولا تفريط فحد الاعتدال وحد الاتزان هو حد الإسلام الذي يجب أن نلتزم به في كل سلوكياتنا البيئية وغيرها.

الاعتدال في استهلاك موارد البيئة (ترشيد استهلاك المياه)

فالإسلام دين الوسطية والاعتدال، فهو يتيح للإنسان التلذذ والانتفاع بالطيبات في المأكل والمشرب والمعاشرة، ويوجهه إلى تجنب الإسراف، ويحظر عليه اقتراف المحرمات المحددة في ذلك.

ويأتي الحثّ على ذلك في سياق الحثّ العام على الاعتدال وتجنب الإسراف، في مثل قوله تعالى : {..... وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (الأنعام 141)، وقوله : {..... وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (الأعراف 31)

ورد في صحيح البخاري باب الغسل بالصاع ونحوه. عن أبي سلمة قال : " دخلت أنا وأخو عائشة على عائشة فسألها أخوها عن غسل النبي صلى الله عليه وسلم، فدعت بإناء نحواً من صاع، فاغتسلت وأفاضت على رأسها وبيننا وبينها حجاب "[5](صحيح البخاري /كتاب الغسل/باب الغسل بالصاع ونحوه).

عن أنس " كان النبي صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد ويتوضأ بالمد " (صحيح البخاري ج 1 / ص 4 8، وصحيح مسلم ج 1/ ص : 258)[6]

جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الوضوء فأراه ثلاثا ثلاثا، ثم قال هكذا الوضوء، فما زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم " (سنن النسائي /كتاب الطهارة/باب الاعتداء في الوضوء).

ومن مبررات حفظ الماء من الاستنزاف وترشيد استهلاكه، أن الله خلقه بقدر، فقال تعالى: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ} (المؤمنون:18)

---

[5]. قوله فدعت بإناء، قوله وبيننا حجاب قال القاضي عياض ظاهره أنهما رأيا عملها في رأسها وأعالي جسدها مما يحل نظرة للمحرم لأنها خالة أبي سلمة من الرضاعة أرضعته أختها أم كلثوم وإنما سترت أسافل بدنها مما لا يحل للمحرم النظر إليه قال وإلا لم يكن لاغتسالها بحضرتهما معنى.
وفي فعل عائشة دلالة على استحباب التعليم بالفعل لأنه أوقع في النفس ولما كان السؤال محتملا للكيفية والكمية ثبت لهما ما يدل على الأمرين معا أما الكيفية فبالاقتصار على إفاضة الماء وإما الكمية فبالاكتفاء بالصاع. فالاغتسال وقع بملء الصاع من الماء تقريبا لا تحديدا. (فتح الباري ج 1/ ص : 365)

[6]. وورد في كتاب عمدة القارئ باب الغسل بالصاع ونحوه. أي هذا في بيان حكم الغسل بالماء قدر ملء الصاع لان الصاع اسم للخشبة فلا يتصور الغسل به قوله ونحوه أي الصاع من الأواني التي يسع فيها الصاع.
قال الجوهري الصاع الذي يكال به وهو أربعة أمداد والجمع اصوع، ويقال هو إناء يشرب فيه، وقال ابن الأثير الصاع مكيال يسع أربعة أمداد، والمد مختلف فيه فقيل هو رطل وثلث بالعراقي وبه قال الشافعي وفقهاء الحجاز وقيل هو رطلان وبه أخذ أبو حنيفة وفقهاء العراق، فيكون الصاع خمسة أرطال وقال عياض جمع الصاع اصوع وهو مكيال لأهل المدينة معروف يسع أربعة أمداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم. وقال أبو عمر قال الخليل الصاع طاس يشرب فيه (عمدة القارئ : ج : 3 ص : 196)
وروى مسلم أيضا من حديثها أنه صلى الله عليه وسلم كان يغتسل من إناء يسع ثلاثة أمداداً فهذا يدل على اختلاف الحال في ذلك بقدر الحاجة. وكره أهل العلم الإسراف فيه وان يجاوزوا فعل النبي صلى الله عليه وسلم (فتح الباري ج 1 /ص 305) قال الشافعي وقد يرفق الفقيه بالقليل فيكفي، ويخرق الأخرق فلا يكفي. (عمدة القارئ ج 3/ص 95)
ورد في سنن ابن ماجه، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف فقال أفي الوضوء إسراف قال نعم وان كنت على نهر جار (سنن ابن ماجه ج 1 /ص 147، ومسند الإمام احمد بن حنبل (ج :2 ص 221) ورد عند صاحب مصباح الزجاجة تضعيف لإسناد هذا الحديث. (مصباح الزجاجة ج 1ص : 62)

نشرت مؤخراً تقارير عن تعرض المنطقة العربية إلى نقص قادم في المياه تقدر نسبته بـ50٪ مع حلول عام 2010. مشيرين إلى أن معظم البلاد العربية تطل على مياه مالحة، مما يستلزم عملاً دؤوباً لتحليتها. إضافة إلى ما تعانيه معظم بلدان المنطقة من ندرة المياه. مما يستدعي ترشيد استهلاك المياه، وأن يكون هذا هدفاً لجميع المستويات في المجتمعات العربية.

حماية المياه من التلوث والمكاره الصحية

حماية المياه الجارية والراكدة ـ مياه البحار والأنهار والآبار والبرك ـ من التلوث بمخلفات المصانع ونضح المجاري والصرف الصحي.

ورد في صحيح مسلم : باب النهي عن البول في الماء الراكد. عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يبال في الماء الراكد. وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(لا تبل في الماء الدائم الذي لا يجري ثم تغتسل منه) (صحيح مسلم/كتاب الطهارة/باب النهي عن البول في الماء الراكد).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب، فقال: كيف يفعل يا أبا هريرة؟ قال: يتناوله تناولا) (صحيح مسلم/كتاب الطهارة /باب النهي عن الاغتسال في الماء الراكد) [7] .

الصرف الصحي :

عن عبد الرحمن بن أبي قراد خرجت مع الرسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته خرج من الخلاء وكان إذا أراد حاجة أبعد. (صحيح ابن خزيمة/كتاب الوضوء /باب التباعد عن الغائط في الصحاري عن الناس ج1/ص:30) .

وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اتقوا الملاعن الثلاث البراز في الماء، وقارعة الطريق، والظل للخرأة) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه إنما تفرد مسلم بحديث أبي هريرة (اتقوا اللاعنين، قالوا: وما اللاعنان؟ قال: الذي يتخلى في الطريق). (المستدرك على الصحيحين ج 1/ ص 273)

وعن ابن عمر قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخلى الرجل تحت شجرة مثمرة، ونهى أن يتخلى على ضفة نهر جار) (رواه الطبراني في الأوسط وفي الكبير).

---

[7]. ورد في عمدة القارئ : باب البول في الماء الدائم. أي هذا باب في بيان حكم البول في الماء الراكد وهو الذي لا يجري في رواية الاصيلي باب لا تبولوا في الماء الراكد وفي بعض النسخ باب الماء الدائم وفي بعضها باب البول في الماء الدائم ثم الذي لا يجري وتفسير الدائم هو الذي لا يجري وذكر قوله بعد ذلك الذي لا يجري يكون تأكيدا لمعناه وصفة موضحة له وقيل للاحتراز عن راكد لا يجري بعضه كالبرك ونحوها. (عمدة القارئ ج3 / 166، وشرح النووي على صحيح مسلم ج : 3 ص : 187).

وعن حذيفة بن أسيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من آذى المسلمين في طريقهم وجبت عليه لعنتهم) (رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن)

وفي رواية قال : (أن يقعد أحدكم في ظل يستظل فيه أو طريق أو في نقع ماء). وفي رواية قال :(لا ينقع بول في طست في البيت فإن الملائكة لا تدخل بيتا فيه بول منتقع ولا تبولن في مغتسلك) (رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن)).

دور الماء الملوث في نقل الأمراض

كثيرة هي الامراض التي تنتقل بالماء الملوث ،ولا سيما تلك التي تسببها بعض الجراثيم أو الطفيليات التي يحتوي عليها براز الإنسان المريض أو بوله ،وفي مقدمتها الحمى التيفودية(التيفود وداء البلهارسيا المنشقات)وداء الديدان الشصية (الملقوات أو الانكيلوستوما)وسائر الديدان.

البيئة وتنظيم النسل من منظور إسلامي

يتحدث الناس عن الانفجار السكاني، المتمثل في تضخم عدد السكان بالنسبة للمتاح من الأرض والمساكن والموارد، ويساهم في هذا التضخم التزايد الضخم في عدد المواليد، فهل يشكل هذا تهديداً بيئياً؟ وما الحكم الشرعي في تحديد النسل أو تنظيمه؟

وهنا يجد التنبيه إلى عدة أمور، منها:

* يرى البعض أن الانفجار السكاني سرطان يجلب الفقر والمرض والأمية والجهل ويقود إلى الاندثار، إلا أن تقريراً للأمم المتحدة عن التنمية في البلاد العربية لعامي 2002 غاب منه عامل الانفجار السكاني كسبب معوق للتنمية.

* أن تنظيم النسل الذي يعني المباعدة بين الولادات وتأخير الحمل جائز شرعاً لعدم وجود نصوص تحرّمه من القرآن الكريم أو السنّة النبوي، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: " كنا نعزل والقرآن ينزل" . (صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب العزل)

وذكر العزل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " وما ذاكم قالوا الرجل تكون له المرأة ترضع فيصيب منها ويكره أن تحمل منه والرجل تكون له الأمة فيصيب منها ويكره أن تحمل منه قال فلا عليكم أن لا تفعلوا ذاكم فإنما هو القدر" (صحيح مسلم، كتاب النكاح، حكم العزل)

* أن الإجهاض حرام شرعاً، لما فيه من قتل لكائن خلقه الله، فينبغي أن يحمى من أي اعتداء أو اعتراض على هذا الخلق.

يقول تعالى: {وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ{*} بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ} (التكوير: 8-9)

وعن عائشة عن جدامة بنت وهب أخت عكاشة قالت: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أناس وهو يقول لقد هممت أن أنهى عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم فلا يضر أولادهم ذلك شيئا ثم سألوه عن العزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الوأد الخفي" (صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب جواز الغيلة وهي وطء المرضع وكراهة العزل)

* وأولى من الإجهاض بالتحريم قتل الولد بعد أن يخلق بسبب الفاقة أو الخوف من الفقر، وقد نهى الله عن ذلك، فقال سبحانه: { وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} (الأنعام:151) وقال: {وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيراً} (الإسراء:31)

* تحديد النسل الذي يعني استخدام وسائل وأساليب تؤدي إلى المنع النهائي للحمل، لا يجوز شرعاً.

المراجع

- القرآن الكريم
- صحيح البخاري
- صحيح مسلم
- سنن ابن ماجة
- سنن أبي داود
- (السنن الكبرى ج /ص 82 وسنن النسائي ج : 1 /ص : 88)
- صحيح ابن خزيمة ج 1/ ص :30
- (فتح الباري ج 1/ ص : 365)
- كتاب عمدة القارئ باب
- التفسير الكبير– الرازي ج:17ص59– 60.
- كتاب التربية البيئية2001
- صلاح عبد السميع عبد الرازق، كلية التربية، جامعة حلوان، التربية البيئية في الإسلام (مفهومها وأهدافها) موقع:
- البيئة من منظور إسلامي، الكويت، موقع:
- إبراهيم عوض الله، البيئة في الإسلام، مجلة هدى الإسلام، العدد 173، 2005.
- قناة الجزيرة الفضائية، نشرة أخبار صباح الأربعاء، 2005.
- عن جريدة القدس، 12961، تاريخ 9/17 /2005 ، ص 38.

رقم الحلقة	الموضوع	الصفحة
1	البيئة والحفاظ عليها (تمهيد)	1
2	تعريف البيئة	2-1
3	النظرة الإسلامية للبيئة	2
4	مشاكل ومخاطر البيئة	4-2
5	مكونات البيئة وعناصرها	5-4
6	البيئة الطبيعية في الإسلام	7-5
7	البيئة مسخرة للإنسان	11-7
8	الأمن البيئي	19-11
9	الاعتدال في الاستهلاك	20-19
10	الصرف الصحي والحماية من التلوث	22-21
11	البيئة وتنظيم النسل من منظور إسلامي	23-22
12	المراجع	24
13	الفهرس	25